

مَجَلَّةُ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ الْإِسْلَامِيَّةِ

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

جامعة الكويت التحرير في قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم

د. فوزية صالح الخليفي

مجلس
النشر العلمي



ISSN: 1029-8908

العدد ١٢٠ - السنة ٣٥

رجب: ١٤٤١هـ - مارس ٢٠٢٠م

البحث الأول

التحرير في قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم

د. فوزية صالح الخليفي

أستاذ الدراسات العليا

قسم الدراسات الإسلامية

جامعة الأميرة نورة

المملكة العربية السعودية

التحرير في قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم

د. فوزية صالح الخلفي*

تاريخ إجازة البحث: مايو ٢٠١٨ م.

تاريخ استلام البحث: فبراير ٢٠١٧ م

ملخص البحث

اجتهد كثير من المفسرين في تفاسيرهم في بيان الضمائر في القرآن الكريم وشرحها وذكر أنواعها، وقواعد استعمالها ومرجعها، مع اختلافهم أحياناً في قواعد ومرجع الضمير في بعض الآيات. وتعدُّ هذه الاختلافات اليسيرة بين المفسرين في الضمائر وأنواعها ومرجعها من الموضوعات الدقيقة الجديرة بالمدارسة وهي تهمة المتخصص في التفسير وعلوم القرآن، وكذلك غيره من الباحثين. من هنا جاء اختيار موضوع البحث بهدف عرض أسباب الاختلاف وأوجهها والتدقيق والتحقيق في ذلك، ونقل كلام المفسرين وأهل الإعراب فيها، وبيان القول الراجح فيها، دون التوسع في المسائل، مع بيان لأغراض الضمير، وقواعده، وأنواعه، وضرب الأمثلة على ذلك.

الكلمات الدالة: التحرير، قواعد، استعمال، الضمير، القرآن الكريم.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد الخاتم الأمين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم إلى يوم الدين.

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا عملاً وعلماً، إنك أنت العليم الحكيم ولا حول ولا قوة لنا إلا بك. أما بعد:

نعلم يقيناً أنَّ نظم القرآن الكريم وأسلوبه مُعْجَز، وأنه لا يستطيع أحدٌ أن يُحِيط بكل مَرَامِيهِ ومقاصِدِهِ، ففيه الكثيرُ من المعاني والوجوه والفرائد، فهو وإن تألَّف من كلمات العرب وحروف لغتهم، إلا أنه فاجأهم بنمط من القول المعجز لا عهد لهم به، يصبُّ في قالب متفرد يدركون حلاوته ويحسُّون روعته دون أن يستطيعوا محاكاته.

(*) د. فوزية صالح الخلفي: أستاذ الدراسات العليا، تخصص التفسير وعلوم القرآن، بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأميرة نورة، الرياض، المملكة العربية السعودية. الرتبة العلمية الحالية: أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك عام ١٤٣٥ هـ، ١٤٣٦ هـ. تحمل شهادتي الدكتوراه في: (التفسير وعلوم القرآن)، والماجستير في التخصص نفسه. وهي عضو باحث، لها عدة كتب مطبوعة، وعدة أبحاث منشورة وأبحاث علمية محكمة في مجال التخصص.

الاهتمامات البحثية: كل ما يتعلق بكتاب الله عز وجل وتفسيره وتدبره، وما يتعلق بعلوم القرآن الكريم بحثاً وتحقيقاً وتحريراً.

وهو كتاب الله المبارك، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١).

وإنَّ التفكير وطول النظر في نظم القرآن وعجيب تركيبه يفتح لنا آفاقاً رحبةً في نمط الاستعمال اللغوي، ويكشف لنا الكثير من أسرارهِ المبهرة، ويمكننا من الكشف عن أمر نغفل عنه - غالباً - نتيجة عدم الاطلاع الكافي على إرثنا التفسيري، والنتائج المعرفية في مجال علوم اللغة من جهة، وعدم الانفتاح على الدراسات العلمية الرصينة في علوم القرآن من جهة أخرى، مما يفوّت علينا الفهم والاستيعاب والمعرفة.

ومن تلك الاستعمالات اللغوية المبهرة في القرآن الكريم: (الضمير)، فقد اهتم القرآن به اهتماماً كثيراً، وأولاه عناية فائقة، ولا عجب في ذلك؛ إذ الضمير من الأدوات الرابطة لأجزاء النص، وهو يقوم مقام اللفظ الظاهر، فيُغني عن تكراره، ويصل الجمل بعضها ببعض، ويُحيل ما هو لاحق على ما هو سابق، فيربط آخر الكلام بأوله؛ فهو يسهم في انساق النص وانسجامه.

والقرآن الكريم أيضاً جاء على سَنَنِ العرب في نظم الكلام، فاستعمل الضمير بحسب لسانهم وطريقتهم.

وقد اجتهد كثير من المفسرين في تفاسيرهم في بيان الضمائر في القرآن الكريم وشرحها وذكر أنواعها، وقواعد استعمالها ومرجعها، مع اختلافهم أحياناً في قواعد ومرجع الضمير في بعض الآيات.

وتعدُّ هذه الاختلافات اليسيرة بين المفسرين في الضمائر وأنواعها ومرجعها من الموضوعات الدقيقة الجديرة بالمدارسة، وهي تهمة المتخصص في التفسير وعلوم القرآن، وكذلك غيره من الباحثين.

من هنا جاء اختيار موضوع البحث بعنوان: (التحرير في قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم)؛ بهدف عرض أسباب الاختلاف وأوجهها والتدقيق والتحقيق في ذلك، ونقل كلام المفسرين وأهل الإعراب فيها، وبيان القول الراجح، دون التوسع في المسائل، مع بيان لأغراض الضمير، وقواعده، وأنواعه، وضرب الأمثلة على ذلك من آيات القرآن الكريم.

(١) سورة: (ص: ٢٩).

الهدف من البحث:

معرفة قواعد الضمير في القرآن الكريم، والتدبر فيها، والكشف عن أسرارها وكنوزها، بما يعين على فهم كتاب الله تعالى وتفسيره.

منهج البحث:

تطلب البحث اتباع المنهج: الاستقرائي، والوصفي في عرض أقوال النحاة والمفسرين، والاستنباطي، والنقلي، والتحليلي.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- أن معرفة الضمائر وأنواعها وقواعدها وعَوْدُها يعين على التدبر والتأمل في كتاب الله وفهم سرٍّ من أسرارهِ، ومن ثم التفاعل معه بما يؤدي إلى الهداية للخير والرشد.
- يعدُّ موضوع قواعد الضمائر وعودها من أدوات التفسير الرئيسة التي يحتاج إليها المفسر المتخصص وغير المتخصص.
- صلاحية الضمير في القرآن الكريم لأن يعود على أشياء متنوعة سبقته؛ ولذلك أثر كبير في توجيه المعنى وتغيّره.
- أن موضوع (عود الضمير) من الموضوعات الدقيقة التي وقع اختلاف بين المفسرين فيها في بعض الآيات، فأرادت الباحثة المشاركة بعرض أسباب الاختلاف، وأوجهها، وبيان القول الراجح فيها.
- أن موضوع الضمير من الموضوعات المهمة التي تستحق البحث والدراسة فبدراسته يتبين لنا الدقة في الأسلوب، والروعة في التعبير والصياغة، وبالتالي فإن هذا يثري الباحث ويصنعه.

الدراسات السابقة:

- ألف العلماء في الضمير في القرآن، ولم تقف الباحثة على من ألف في القواعد مختصرة ومحررة مبيناً فيه القول الراجح، وممّا ألف في ذلك ما يلي:
- (مرجع الضمير في القرآن الكريم): تأليف: الدكتور محمد حسنين صبرة، وإن كان المؤلف لم يعط كثيراً من المواضع المشكلة بين المفسرين حقّها من البحث والتدقيق.
- (عود الضمير في البحر المحيط لأبي حيان): لحمد خالد العبيدي، وهي رسالة دكتوراه في جامعة بغداد، (ولم أستطع الحصول عليها).

– (الضمائر المحتملة في القرآن الكريم): تأليف: د. ملفي الصاعدي، بحث منشور في

مجلة الجامعة الإسلامية، عدد (١٢٧) سنة ١٤٢٥ هـ.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم جدول يوضح قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم.

المقدمة: وتشتمل على: الهدف من البحث، ومنهج البحث، وأهميته وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الضمير لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أقسام الضمير وأنواعه.

أما المبحثان فهما:

المبحث الأول: الغرض من استعمال الضمير.

المبحث الثاني: قواعد استعمال الضمير.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج العلمية للبحث وتوصياته.

يليه جدول توضيحي لقواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم.

أسأل الله عز وجل الإخلاص والقبول في القول والعمل، وأن يغفر الزلل، ويجعل هذا البحث نوراً في الحياة، وزاداً بعد الممات لي ولكل من قرأه وقومه وانتفع به، وأن يحسن قصداً ويُجزل أجراً، إنه سميع مجيب.

التمهيد:

المطلب الأول

تعريف الضمير لغة واصطلاحاً

تعريف الضمير لغة:

مأخوذ من ضَمَرَ يَضْمُرُ، وَضِدُهُ: (ظَهَرَ)، وَالضُّمْرُ وَالضُّمْرُ بِسُكُونِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا: الْهَزَالُ وَخِفَّةُ اللَّحْمِ وَلُحُوقِ الْبَطْنِ.

والفعل: ضَمَرَ يَضْمُرُ ضُمُوراً فهو ضَامِرٌ، والضمير: هو السر المضمّر داخل الخاطر، أي الشيء الذي تضمّره، والضامر: الهضم البطن اللطيف الجسم الذي أصابه الضمور^(١). وهو من الضمور أي: الهزال لقلّة حروفه، أو من الإضمار وهو الإخفاء لكثرة استتاره.

الضمير اصطلاحاً:

الضمير هو اسم يحلّ محلّ اسم آخر ويدل عليه، وقيل: ما كُنِيَ به عن الظاهر اختصاراً، وقيل: ما دلّ على حضور أو غيبة^(٢)، أي هو ما وُضِعَ لتكلم، أو لِمُخَاطَبٍ، أو غَائِبٍ، ك: (أنا، وأنت، وهو، أو لِمُخَاطَبٍ تَارَةً، وَلِغَائِبٍ أُخْرَى وهو: الْأَلْفُ وَالْوَاوُ وَالنُّونُ)^(٣).

المطلب الثاني

أقسام الضمير وأنواعه

أقسام الضمير:

الضمير قسمان: بارز ومستتر:

والبارز: هو ما له صورة في اللفظ كتاء: (قمتُ).

والمستتر: هو بخلافه كالمقدّر في: (قُم).

وينقسم الضمير البارز إلى:

- (١) انظر: العين. تأليف: الخليل بن أحمد (٤١/٧)، لسان العرب. تأليف: ابن منظور (٤٩١/٤)، مختار الصحاح (٣١٢/١)، معجم متن اللغة. تأليف: أحمد رضا (٥٦٤/٣): (ضمير).
- (٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٦/٤)، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (٥٦٧/٢).
- (٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤١٦/٤)، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية (٥٦٧/٢).

– متصل: وهوما لا يفتتح به النطق ولا يقع بعد «إلا»، كياء «ابني»، وكاف «أكرمك»، وهاء «سَلْنِيهِ» ويائه.

– ومنفصل: وهو ما يبتدأ به ويقع بعد «إلا»، نحو: «أنا»، تقول: «أنا مؤمن» و«ما قام إلا أنا»^(١).

وينقسم المتصل، بحسب مواقع الإعراب، إلى ثلاثة أقسام:

١- ما يختص بمحل الرفع، وهو خمسة: التاء كقمت، والألف كقاما، والواو كقاموا، والنون كقمن، وياء المخاطبة كقومي.

٢- ما هو مشترك بين محل النصب والجر فقط، وهو ثلاثة: ياء المتكلم نحو: ﴿رَبِّتْ أَكْرَمِينَ﴾ (الفجر: ٥١)، وكاف المخاطب نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ (الضحى: ٣)، وهاء الغائب، نحو: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ (الكهف: ٧٣).

٣- ما هو مشترك بين الثلاثة، وهو «نا» خاصة نحو: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا﴾ (آل عمران: ٣٩١).

وقال بعضهم: (لا يختص ذلك بكلمة «نا»، بل الياء، وكلمة «هم» كذلك؛ لأنك تقول: «قومي» و«أكرمني» و«غلامي» و«هم فعلوا» و«إنهم» و«لهم مال»)^(٢).

والصواب خلاف ذلك؛ لأن ياء المخاطبة غير ياء المتكلم، والمنفصل غير المتصل. وألفاظ الضمائر كلها مبنية^(٣).

(١) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تأليف: عبد الله بن يوسف بن هشام (١٠٢/١).

(٢) قائل ذلك: أبو حيان في البحر المحيط (٢٥/١)، وقد نظر إلى الضمير من غير اعتبار لمعناه، ولا لكونه متصلاً أو منفصلاً.

ورُدَّ عليه بأنه لا بد من النظر إلى معنى الضمير وإلى نوعه، فإن اتحد اللفظ والمعنى والنوع، كان ضميراً واحداً، وإن اتحد اللفظ واختلف المعنى كياء المتكلم وياء المخاطبة، أو اتحد اللفظ، واختلف النوع، ككلمة «هم» فإنها، في قولك: «لهم» وقولك: «إنهم» ضمير متصل، وفي قولك: «هم يفعلون» ضمير منفصل. فهما متغايران، بخلاف «نا» فإن لفظها واحد، ومعناها واحد أيضاً، ونوعها واحد وهو المتصل، وهي مع هذا من الاتفاق واقعة في مواقع الإعراب الثلاثة الرفع والنصب والجر.

انظر: شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للوقاد (٩٩/١).

(٣) اتفق النحاة على أنَّ الضمائر كلها مبنية، واختلف في سبب بنائها، ف قيل: شبه الحرف في المعنى؛ لأنَّ كلَّ مضمَر مضمَّن معنى التكلم أو الخطاب أو الغيبة، وهي من معاني الحروف، وقيل: شبه الحرف في الوضع؛ لأنَّ أكثر المضمَرات على حرف واحد أو حرفين، وحمل الأقل على الأكثر، وقيل: =

وله ثلاثة أنواع هي كالتالي:

الأول: الضمير المتصل:

وهو الضمير المتصل بالاسم، كالضمير المفرد المذكر والمؤنث، والمثنى والجمع، والأمثلة عليه كثيرة، وستأتي في مبحث: قواعد استعمال الضمير^(١).

الثاني: الضمير المنفصل:

هو ضمير بصيغة المرفوع، مطابق لما قبله تكلاً وخطاباً وغيبة إفراداً وجمعاً، يقع بعد مبتدأ، أو ما أصله المبتدأ، وقيل: خبر كذلك، نحو قوله سبحانه: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾^(٣)، وقوله عز وجل: ﴿كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾^(٤)، وقوله تبارك وتعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾^(٥)، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم. ولا محل للضمير المنفصل من الإعراب، وله ثلاثة فوائد: الإعلام بأن ما بعده خبر لا تابع، والتأكيد، والاختصاص.

الثالث: ضمير الشأن:

ويسمى ضمير المجهول، قال ابن هشام: (خالف القياس من خمسة أوجه: أحدها: عوده على ما بعده لزوماً؛ إذ لا يجوز للجملة المفسرة أن تتقدم عليه، ولا شيء منها، الثاني: أن مفسره لا يكون إلا جملة، الثالث: أنه لا يتبع بتابع، فلا يؤكد، ولا يعطف عليه، ولا يبدل منه، الرابع: أنه لا يعمل فيه إلا الابتداء أو ناسخه، الخامس: أنه ملازم للإفراد)^(٦).

= شبه الحرف في الافتقار؛ لأن المضمّر لا تتم دلالته على مسماه إلا بضميمة مشاهدة أو غيرها، وقيل: شبه الحرف في الجمود، وقيل: اختلاف صيغه لاختلاف معانيه، وقيل غير ذلك، ولا يختص الإبراز بضمير بعينه، بل يكون في ضمير الرفع والنصب والجر.
انظر: التصريح بمضمون التوضيح (١/ ١٠٠)، حاشية الصبّان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك للصبّان (١/ ١١٠).

(١) انظر: (ص/ ١٥-٣٤).

(٢) البقرة: (٥).

(٣) الصافات: (١٦٥).

(٤) المائدة: (١١٧).

(٥) هود: (٧٨).

(٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تأليف: جمال الدين بن هشام الأنصاري (ص/ ١٣٧-١٣٨).

ومن أمثلته قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَأِذَا هِيَ شَخَصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٢)، وقوله عز وجل: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

وفائدته: الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه، بأن يذكر أولاً مبهماً ثم يُفسّر. قال ابن هشام: (ومتى أمكن الحمل على غير ضمير الشأن، فلا ينبغي أن يُحمل عليه)^(٤)، ومن ثم ضَعَفَ قول الزمخشري في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَرْتَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥).

قال الزمخشري: (والضمير في ﴿إِنَّهُمْ﴾ للشأن)، قال ابن هشام: (والأولى كونه ضمير الشيطان، ويؤيده قراءة (وقبيله) بالنصب، وضمير الشأن لا يُعطف عليه)^(٦). والضمير من المعارف، وقد اهتم علماء التفسير والنحاة بالضمير وشرحه وبيانه وأقسامه.

المبحث الأول

أغراض استعمال الضمير

اهتم المفسرون والنحاة بالتأليف في الضمير وأغراض استعماله، ومن هؤلاء ابن الأنباري^(٧) - رحمه الله -، فقد صنّف كتاباً في بيان الضمائر الواقعة في القرآن الكريم - وهو تصنيف فريد في باب - وذكر فيه أسباب العدول إلى الضمائر^(٨).

(١) (الإخلاص: ١).

(٢) (الأنبياء: ٩٧).

(٣) (الحج: ٤٦).

(٤) مغني اللبيب (ص/ ١٣٩).

(٥) (الأعراف: ٢٧).

(٦) انظر: مغني اللبيب (ص/ ١٣٩).

(٧) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشر بن الحسن الأنباري، قيل: كان يحفظ ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن، ثقةً ديناً صدوقاً، وكان أحفظ من تقدم من الكوفيين، توفي سنة سبع وعشرين وثلاث مائة، وقيل: سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة.

طبقات النحويين واللغويين (١/ ٥٣)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (١/ ١٩٩).

(٨) أي: أغراض استعمال الضمائر، ذكر ذلك الزركشي في البرهان (٤/ ٢٤)، والسيوطي في الإتقان (٢/ ٣٣٤).

ومن أهم أغراض استعمال الضمير ثلاثة هي:

١- الاختصار: وهو الغرض الرئيس من استعمال الضمير، تأمل في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ حيث قام الضمير: ﴿لَهُمْ﴾ مقام خمسة وعشرين اسماً لو أتى بها مظهرة في ختام قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْخَافِضِينَ وَالْخَافِضَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

ونحو هذا ما نقله ابن عطية عن مكي -رحمهما الله- قال: (قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ إِخْوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَاءً لَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ

جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾ ﴿٢﴾، ليس في كتاب الله آية أكثر ضماناً من هذه، جمعت خمسة وعشرين ضميراً للمؤمنات: من مخفوض ومرفوع (٣).

وزاد أبو حيان فقال: (وفيها ثلاثة ضمائر لجميع الذكور أيضًا) (٤).

ومن الأمثلة أيضاً: آية الكرسي، قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ (٥)، وقد قيل: إن فيها أحد وعشرون اسماً ما بين ضمير وظاهر،

(١) (الأحزاب: ٣٥).

(٢) (النور: ٣١).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/٣٤٢)، وذكر قول مكّي أيضاً أبو حيان في البحر المحيط (٦/٤٤٩).

(٤) انظر: البحر المحیط (٦/٤٤٩).

(٥) (البقرة: ٢٥٥).

وجاءت الضمائر فيها متصلة بكل أقسام الكلم^(١).

٢- **التفخيم**: أي تفخيم شأن صاحبه؛ حيث يُجعل لكثرة شهرته كأنه يدل على نفسه، ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته، والمثال عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٣) يعني: القرآن.

ومنه أيضاً قوله عز وجل: ﴿فَإِنَّهُمْ نَرَاهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّتْ يَدَايِهِ وَهُدًى وَيُشْرِىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، ومنه ضمير الشأن^(٥).

٣- **التحقير**: كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي الْأَرْضِ حَلَائِلًا ظِئْبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٦)، يعني: الشيطان، وقوله: ﴿يَنْبَغِي ۖ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَهُمَا إِنَّهُ يَرَئِكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾^(٨)، وهذا كثير في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم

يخضع استعمال الضمير في كلام العرب لقواعد لا بد من مراعاتها واعتبارها، وقد راعى القرآن الكريم تلك القواعد واعتبرها اعتباراً شديداً، وسأذكر تلك القواعد، ثم أذكر أمثلتها من القرآن بإذن الله تعالى، مع إيضاح لها من أقوال المفسرين وغيرهم.

القاعدة الأولى: لا بد أن يتقدم على الضمير اسم ظاهر يدل عليه، ويعود إليه:

– مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

(١) انظر: الكشاف (٣٠١/١)، تفسير الشعراوي (١١٠/٢).

(٢) (الدخان: ٣).

(٣) (القدر: ١).

(٤) (البقرة: ٩٧).

(٥) البرهان (٢٤/٤).

(٦) (البقرة: ١٦٨).

(٧) (الأعراف: ٢٧).

(٨) (الانشقاق: ١٤).

فَاكْتُبُوهُ ﴿١﴾.

فقله تعالى: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾، الضمير هنا يعود على (الدين) الذي ذكر في بداية الآية في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾.

قال الزمخشري: (والمعنى: إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه، فإن قلت: هلاً قيل: إذا تدايَنْتُمْ إلى أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين، كما قال: دايَنْتْ أروى، ولم يقل: بدين؟ قلت: ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال: فاكتبوا الدين، فلم يكن النظم بذلك الحسن^(٢) وقال السمين الحلبي: (قوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ الضمير يعود على ﴿بِدِينٍ﴾، وإنما ذَكَرَ قوله ﴿بِدِينٍ﴾ ليعيد عليه هذا الضمير، وإن كان الدَّيْن مفهوماً من قوله: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾، أو لأنه قد يُقال: تداينوا، أي: جازى بعضهم بعضاً فقال: ﴿بِدِينٍ﴾ ليُزيل هذا الاشتراك، أو ليدل به على العموم، أي: أي دين كان من قليل وكثير^(٣)).

فبناءً على ما ذكر: الأصل أن يقدم ما يدل عليه الضمير بدليل الأكثرية وعدم التكلف^(٤). - ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾^(٥). فقد أحرر المفعول الأول: ﴿شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾؛ ليعود الضمير: ﴿بَعْضُهُمْ﴾ عليه لقربه^(٦)، إلا أن يكون مضافاً ومضافاً إليه فالأصل عوده للمضاف؛ لأنه المحدث عنه.

فقله تعالى: ﴿يُوحِي﴾. يحتمل أن يكون مستأنفاً أخبر عنهم بذلك، وأن يكون حالاً من: ﴿شَيْطِينَ﴾، وأن يكون وصفاً لعدو، وقد تقدّم أنه واقع موقع أعداء؛ فلذلك عاد الضمير عليه جمعاً في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ﴾^(٧).

(١) سورة: البقرة: (٢٨٢).

(٢) الكشف (١/٣٢٥).

(٣) الدر المصون (٢/٦١٥).

(٤) انظر: البرهان في علوم القرآن (٤/٢٥).

(٥) سورة: الأنعام: (١١٢).

(٦) انظر: الكتاب لسيبويه (١/١٠٣)، الكشف (١/٦٤).

(٧) انظر: الإتيان للسيوطي (٢/٣٣٨)، الدر المصون (٢/٦١٥).

وبناءً على هذه القاعدة فقد قرّر العلماء من النحويين وغيرهم أنّ عود الضمير له حالات وهي:

أولاً: وهو الأصل – أن يعود الضمير على اسم ملفوظ به سابق له مطابق:
 - مثل قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾^(١)، وقوله سبحانه: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٢)، وقوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾^(٣)، فالأسماء الملفوظة السابقة للضمير في الآيات المذكورة هي: ﴿نُوحٌ﴾ و: ﴿آدَمُ﴾ و: ﴿الْقُرْآنَ﴾.

ثانياً: أو يعود الضمير على لفظ متضمن له:
 - مثل قوله تعالى: ﴿أَعِدُّوا لَهُ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٤)، فإنَّ الفعل: ﴿أَعِدُّوا﴾ يتضمن الاسم العائد إليه الضمير، وهو (العدل).
 - وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾^(٥).

فأعاد الضمير في ﴿مِنْهُ﴾ على: ﴿الْقِسْمَةَ﴾؛ لما كانت بمعنى المقسوم؛ لدلالة ﴿الْقِسْمَةَ﴾ عليه.

ويحتمل أن يعود على ما تركه الوالدان والأقربون؛ لأنه مذكور وإن كان بعيداً^(٦).
 - وأيضاً مثل قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمَاءُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾^(٧)، فالضمير يرجع للأكل؛ لدلالة ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ عليه^(٨).

ثالثاً: أو يدل عليه اللفظ بدلالة الالتزام:
 نحو قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٩)، أي: القرآن، فإنَّ (الإنزال) يدلُّ

(١) سورة: هود: (٤٢).

(٢) سورة: طه: (١٢١).

(٣) سورة: الأحقاف: (٢٩).

(٤) سورة: المائدة: (٨).

(٥) سورة: النساء: (٨).

(٦) انظر: البرهان (٢٦/٤)، (الإتقان (٣٣٤/٢)).

(٧) (الأنعام: ١٢١).

(٨) انظر: البرهان (٢٦/٤)، (الإتقان (٣٣٤/٢))، التذييل والتكميل (٢٥٣/٢).

(٩) (القدر: ١).

عليه التزاماً.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُولَٰئِكَ بِالْمَعْرُوفِ وَأُولَٰئِكَ إِلَيْهِ يَاجْسَنُونَ﴾^(١)، فد: ﴿عَفَىٰ﴾ يستلزم (عافياً)، إذ أغنى ذلك عن ذكره وأعيد عليه الهاء من: ﴿إِلَيْهِ﴾ عليه^(٢).

رابعاً: قد يأتي الاسم متأخراً لفظاً لا رتبة، فيعود الضمير على مذكور في سياق الكلام مؤخراً في اللفظ مقدّم في النية:

نحو قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾^(٣)، التقدير: فأوجس موسى خيفة في نفسه.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٤)، والتقدير: ولا يُسأل المجرمون عن ذنوبهم.

خامساً: قد يأتي الاسم متأخراً مدلولاً عليه بدلالة الالتزام:

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(٥)، فقد أضمّرت (الروح) لدلالة ﴿الْحُلُقُومَ﴾ عليها.

وأيضاً مثل قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾^(٦)، حيث أضمّرت النفس لدلالة ذكر التراقي عليها.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾^(٧)، أي: الشمس؛ لدلالة (الحجاب) عليها، وإن كان هناك من يقول: إنه سبق ما يدل عليها، وهو: ﴿يَالْعَنِي﴾؛ لأنّ العشي ما بين زوال الشمس وغروبها، والمعنى:

(إذ عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب)، وقيل أيضاً: أنّ فاعل ﴿تَوَارَتْ﴾ ضمير الصافنات، أي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام، ويؤيده أنّ اتفاق

(١) (البقرة: ١٧٨).

(٢) انظر: البرهان (٤/ ٢٧)، والإتقان (٢/ ٣٣٤) معجم الشواهد (ص/ ١٥٠).

(٣) (طه: ٦٧).

(٤) (القصص: ٧٨).

(٥) (الواقعة: ٨٣).

(٦) (القيامة: ٢٦).

(٧) (ص: ٣٢-٣٣).

الضمائر أولى من تخالفها^(١).

والوجه الأول - والله أعلم - هو الأرجح من عود الضمير إلى الشمس في كليهما؛ لأنَّ ذلك مفهوم من سياق الآية الكريمة.

سادساً: وقد يدلُّ السياق على الاسم الذي يرجع إليه الضمير، فيُضمر ثقةً بفهم السامع وعلمه:

نحو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٣٦) ﴿٢﴾، أي: الأرض أو الدنيا^(٣).
ومثله قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ (٤٥) ﴿٤﴾ فأضمرت الأرض هنا، وبعضهم جعل الضمير للدنيا، وقال: (وإن لم يتقدّم لها ذكر لكن تقدم ذكر بعضها، والبعض يدلُّ على الكل)^(٥).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤَيِّدُ لِكُلِّ وَّجَدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ (٦١) ﴿٦﴾، فالضمير يعود على الميت، ولم يتقدم له ذكر.

سابعاً: قد يعود الضمير على لفظ المذكور دون معناه:

مثل قوله سبحانه: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمُرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (١١) ﴿٧﴾، أُعيد الضمير على (غير المُعَمَّر)؛ لأنَّ ذكر (المُعَمَّر) يدل عليه لتقابلهما، فكان يصاحبه الاستحضار الذهني.

ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعَقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ (٨) ﴿٨﴾، فأعاد الضمير للأيدي؛ لأنها تصاحب الأعناق في الأغلال، وأغنى ذكر الأغلال عن ذكرها^(٩).

(١) وهذا هو الراجح. انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤ / ٣٣١)، والبرهان للزركشي (٤ / ٢٦) وعزا القولين: لابن مالك وابن العربي في الفتوحات، وانظر: تفصيلاً في أقوال عود الضمير في مفاتيح الغيب للرازي (٢٦ / ٣٩٠) مع ترجيحه لعود الضمير في الآية للشمس.

(٢) (الرحمن: ٣٦).

(٣) انظر: الإتيقان (٢ / ٣٣٤).

(٤) (فاطر: ٤٥).

(٥) منهم ابن مالك رحمه الله. انظر: الإتيقان (٢ / ٣٣٤)، والبرهان للزركشي (٤ / ٢٦).

(٦) (النساء: ١١).

(٧) (فاطر: ١١).

(٨) (يس: ٧).

(٩) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (٧ / ١٥٢)، وشرح التسهيل (١ / ١٥٧).

ثامناً: وقد يعود الضمير على بعض ما تقدم:

نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْ نِسَاءً﴾ وهو بعض من كل، وهو يعود على قوله سبحانه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾^(١)، ومثله قوله تعالى: ﴿وَيُعُولَهُنَّ أَحَقُّ بِرِهْنٍ﴾ فإنه عائذ على قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَتُ﴾^(٢) وهو خاص بالرجعيات، والعائذ عليه عام فيهن وفي غيرهن^(٣).

القاعدة الثانية: عود الضمير على لفظ شيء:

والمراد به الجنس من ذلك الشيء؛ كقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾^(٤)، أي: بجنسي (الفقير) و(الغني)؛ لدلالة غنياً أو فقيراً على الجنسين. قال الزمخشري: (فإن قلت: لم ثنى الضمير في: (أولى بهما) وكان حقه أن يوحد لأن قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ في معنى إن يكن أحد هذين؟ قلت: قد رجع الضمير إلى ما دل عليه قوله: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ لا إلى المذكور، فلذلك ثنى ولم يفرد، وهو جنس الغني وجنس الفقير، كأنه قيل: فالله أولى بجنسي الغني والفقير، أي بالأغنياء والفقراء، وفي قراءة أبي: فالله أولى بهم، وهي شاهدة على ذلك)^(٥).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٦)، فإن الضمير في: ﴿به﴾ يرجع إلى (المرزوق) في الدارين جميعاً؛ لأن قوله سبحانه: ﴿هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ مشتمل على ذكر ما رزقوه في الدارين^(٧).

(١) (النساء: ١١).

(٢) (البقرة: ٢٢٨).

(٣) انظر: البرهان للزركشي (٤/ ٢٨).

(٤) (النساء: ١٣٥).

(٥) الكشف (١/ ٥٧٥)، وانظر: المحرر الوجيز (٢/ ١٢٣)، البحر المحيط (٤/ ٩٦).

(٦) (البقرة: ٢٥).

(٧) انظر: الكشف (١/ ١٠٨)، الدر المصون (١/ ٢١٨).

القاعدة الثالثة: أن يُذكر شيئان، ويُعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب عوده للثاني الأقرب:

– مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) ﴿١﴾، فأعيد الضمير في: ﴿وَإِنَّهَا﴾ لـ: ﴿وَالصَّلَاةِ﴾؛ لأنها أقرب، وهو الأولى، ولا يعود الضمير على غير الأقرب إلا بدليل (٢).

قال الطبري: (يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿وَإِنَّهَا﴾، أي: وإن الصلاة، فـ: (الهاء والألف) في: ﴿وَإِنَّهَا﴾ عائدتان على ﴿وَالصَّلَاةِ﴾، وقد قال بعضهم: إنَّ قوله: (وإنها) بمعنى: إنَّ إجابة محمد ﷺ، ولم يجز لذلك بلفظ الإجابة ذكر فتجعل: (الهاء والألف) كناية عنه، وغير جائز ترك الظاهر المفهوم من الكلام إلى باطن لا دلالة على صحته (٣).

وقال الزمخشري: (الضمير – في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) – للصلاة، أو للاستعانة، أو لجميع الأمور التي أمروا بها) (٤).

يريد بذلك من ابتداء أوامر الله من عند قوله تعالى: ﴿يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ يَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾ (٤٠) ﴿٥﴾.

وقول الزمخشري محتمل، ولا يمنع الجمع بين قوله وقول الطبري في أنَّ الضمير يعود للصلاة ولجميع ما ذكر.

قال ابن عاشور معلقاً على رأي الزمخشري: (وهذا ممَّا جَوَّزه صاحب الكشاف، ولعلَّه من مبتكراته، وهذا أوضح الأقوال وأجمعها، والمحال مَرَادَة) (٦).

– ومن الأمثلة أيضاً قوله سبحانه: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٢) ﴿٧﴾، فأفرد الضمير في: ﴿يُرْضَوْهُ﴾، ولم يقل: (يرضوهما)؛ لأنَّ الرسول ﷺ هو داعي العباد إلى الله، وحجَّته عليهم، والمخاطب لهم بأمره

(١) (البقرة: ٤٥).

(٢) انظر: البحر المحيط (١/ ١٨٥)، وشرح الكافية. تأليف: الرضي (٤/ ٢).

(٣) جامع البيان (١/ ١٥).

(٤) الكشاف (١/ ٣٤)، وانظر: البحر (١/ ١٨٥)، الإعراب المنسوب للزجاج (ص/ ٨٤٥).

(٥) (البقرة: ٤٠).

(٦) التحرير والتنوير (١/ ٤٧٩).

(٧) (التوبة: ٦٢).

ونهي، وذكر الله تعالى في الآية تعظيماً، والمعنى تام بذكر الرسول ﷺ وحده.

قال الزجاج: (وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾، ولم يقل يرضوهما؛ لأنَّ المعنى يدلُّ عليه، فحذف استخفافاً، والمعنى: والله أحق أن يرضوه، ورسوله أحق أن يرضوه)^(١).

ومذهب المبرد أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، وتقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله، قال: وكانوا يكرهون أن يجمع الرسول مع الله في ضمير. وليس هذا بشيء^(٢).

١- ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، والأصل: (قدَّرها) أي: الشمس والقمر، ولكن اكتفى برجوع الضمير للقمر ﴿وَقَدَرَهُ﴾ لوجهين؛ قربه من الضمير، وكونه هو الذي يعلم به الشهور ويكون به حسابها^(٤).

- وأيضاً مثله قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٥)، فأعاد الضمير في: ﴿وَلَا ينفِقُونَهَا﴾ على الفضة لقربها، ويجوز أن يعود الضمير إلى المكنوز وهو يشملها^(٦).

وهل يعود الضمير على الاسم الأقرب في القرآن الكريم كله؟

ذكر الزركشي قولاً عن الأنباري، وهو: أنه لم يؤثر الأول بالعائد في القرآن كله إلا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾^(٧)، ومعناه إليهما فخصَّ التجارة بالعائد، لأنها كانت سبب الانفضاض عنه وهو يخطب، قال: فأما كلام العرب فإنها تارة تؤثر الثاني بالعائد، وتارة الأول، فتقول: إن عبدك وجاريتك عاقلة، وإن عبدك وجاريتك عاقل.

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٣)، التحرير والتنوير (١٠/ ٢٤٦).

(٣) (يونس: ٥).

(٤) انظر: جامع البيان (١٥/ ٢٣)، معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٧).

(٥) (التوبة: ٣٤).

(٦) انظر: جامع البيان (١٤/ ٢٢٧)، النكت والعيون (٢/ ٣٥٨).

(٧) (الجمعة: ١١).

وقد رد الزركشي قوله، وقال: ليس من هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْجَةً أَوَّلَهُمْ أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾؛ لأن الإخبار عن أحدهما لوجود لفظه، أو هي لإثبات أحد المذكورين، فمن جعله نظير هذا فلم يصب، إلا أن يدعي أن أو بمعنى الواو، وفي هاتين الآيتين لطيفة، وهي: أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في الآية الأولى على التجارة وإن كانت أبعد ومؤنثة؛ لأنها أجدب لقلوب العباد عن طاعة الله من الله، بدليل أن المشتغلين بها أكثر من الله؛ ولأنها أكثر نفعاً من الله، أو لأنها كانت أصلاً والله تبعاً، لأنه ضرب بالطل لقدمها على ما عرف من تفسير الآية وأعاده في الآية الثانية على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكر^(١).

القاعدة الرابعة: أن يُذكر شيئان، ويعود الضمير جمعاً؛ لأن الاثنين جمع في المعنى:

- مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨)، فقله: ﴿لِحَكْمِهِمْ﴾، يعني حكم سليمان وداود عليهما السلام، فعاد الضمير في: ﴿لِحَكْمِهِمْ﴾ جمعاً وهما اثنان، وفي قراءة ابن عباس: (وكُنَّا لحكمهما شاهدين) فدل على أنهما اثنان^(٢).

وابن عاشور يقول: (وإضافة (حكم) إلى ضمير الجمع باعتبار اجتماع الحاكمين والمتحكمين)^(٣).

- ومن الأمثلة أيضاً قوله تعالى: ﴿الْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِ وَالْحَيِّثُ لِلْحَيِّثِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٣٦)، فقله: ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾، أوقع: ﴿أُولَئِكَ﴾ وهو جمع على عائشة وصفوان ابن المعطل الذي قذف معها - رضي الله عنهما - على قول الفراء^(٤)، وقيل: إشارة إلى الطيبين

(١) البرهان (٤/ ٣٢)، وانظر: معاني القرآن للفراء (٣/ ١٥٧)، إعراب القرآن للنحاس (٤/ ٢٨٣).

(٢) (الأنبياء: ٧٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٩)، المحرر الوجيز (٤/ ٩٠).

(٤) التحرير والتنوير (١٧/ ١١٨).

(٥) (النور: ٢٦).

(٦) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٩)، وانظر: مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٥٥).

والطبيبات^(١). والوجهان صحيحان في معنى الآية.

القاعدة الخامسة: أن يُثنَى الضمير، ويعود على أحد المذكورين:

- مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٢)، وإنما يخرج من أحدهما^(٣).

- ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا بَلَغًا جَمَعَ بَيْنَهُمَا نِسْيَا حُوتَهُمَا﴾^(٤)، فالحديث في الآية عن موسى تعالى وفتاه، فأعاد الضمير عليهما، والذي نسيه هو الفتى^(٥).

القاعدة السادسة: مجيء الضمير متصلاً بشيء، ويعود لغيره:

- مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٦)، يعني آدم - عليه السلام -، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾^(٧)، فهذه لولد آدم، لأنَّ آدم لم يُخلق من نطفة^(٨).

قال ابن كثير: (فإنَّ المراد منه - أي: ﴿الْإِنْسَانَ﴾ - آدم المخلوق من السلالة، وذريته مخلوقون من نطفة؛ وصحَّ هذا لأنَّ المراد من: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس، لا معيناً، والله أعلم)^(٩).

وقال ابن عطية: (ويجيء الضمير في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ عائداً على ابن آدم، وإن كان لم يذكر، لشهرة الأمر، وأنَّ المعنى لا يصلح إلا له)^(١٠).

قال السيوطي: (قلت: هذا هو باب الاستخدام، ومنه قوله: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ

(١) التحرير والتنوير (١٨/١٩٤)، روح المعاني للألوسي (٩/٣٢٦).

(٢) (الرحمن: ٢٢).

(٣) انظر: الكشف (٤/٤٤٦)، المحرر الوجيز (٥/٢٢٨)، الدر المصون (٢/٣٤٥).

(٤) (الكهف: ٦١).

(٥) انظر: جامع البيان (١٨/٣١٦)، الدر المصون (٢/٣٤٥).

(٦) (المؤمنون: ١٢).

(٧) (المؤمنون: ١٣).

(٨) انظر: معاني القرآن للنحاس (٤/٤٤٦)، الكشف (٣/١٧٨).

(٩) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٩٢).

(١٠) المحرر الوجيز (٤/١٣٨).

عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾^(١)، ثم قال سبحانه: ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾^(٢)، أي أشياء آخر مفهومة من لفظ أشياء السابقة^(٣).

- وقد يعود الضمير على ملابس ما هو له، نحو قوله تعالى: ﴿كَانَ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوِ لَبِئْتُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوِ صُحُورًا﴾^(٤)، أي: ضحى يومها لا ضحى العشية نفسها؛ لأنه لا ضحى لها.

- وقد يعود على غير مشاهد محسوس، والأصل خلافه نحو: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٥)، فضمير: ﴿لَهُ﴾ عائد على الأمر، وهو إذ ذاك غير موجود؛ لأنه لما كان سابقاً في علم الله كونه كان بمنزلة الشاهد الموجود^(٦).

- ومثله قوله سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾^(٧) ٧٨.

حيث يتبادر إلى الذهن أنَّ الضمير في قوله: ﴿هُوَ﴾ عائد لإبراهيم تعالى؛ لأنه أقرب المذكورين^(٨)، وهذا غير مستقيم؛ لأنَّ الضمير في قوله: ﴿هَذَا﴾ راجع للقرآن الكريم، وهو لم يكن في زمن إبراهيم تعالى، ولا هو قاله.

والصواب أن يقال: إن الضمير راجع إلى الله سبحانه، يعني هو سبحانه: ﴿سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ يريد في الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام قبلكم، وفي هذا الكتاب الذي أنزل عليكم وهو القرآن^(٩).

(١) (المائدة: ١٠١).

(٢) (المائدة: ١٠٢).

(٣) الإتيان (٢ / ٣٣٧).

(٤) (النازعات: ٤٦).

(٥) (البقرة: ١١٧).

(٦) الإتيان (٢ / ٣٣٧)، وانظر: البرهان (٤ / ٣٣).

(٧) (الحج: ٧٨).

(٨) قيل: (هو) راجع إلى الله تعالى، وقيل: إلى إبراهيم. وممن قال بذلك الزمخشري.

انظر: (الكشاف ٣ / ١٧٣)، وقال أبو حيان في البحر (٦ / ٣٩١): (إبراهيم أقرب مذكور).

(٩) انظر: البرهان (٤ / ٣٣)، التحرير والتنوير (١٨ / ٢٧).

القاعدة السابعة: أنه إذا اجتمعت الضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من

عودها لمختلف:

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ۖ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا بُوحَىٰ ۖ أَن أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّكَ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ﴾ (٣٩).^(١)

حيث يرجع الضمير في قوله: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ وما قبله: ﴿أَن أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ وما بعده: ﴿يَأْخُذْهُ﴾ إلى موسى تعالى، كل الضمائر راجعة إليه تعالى، وهذا هو الصحيح، وقد نصَّ النحويون على هذا.

وأجاز بعضهم تعدد الضمائر إلى مختلف فقال: (إن مرجع الضمير في قوله: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ لـ: ﴿التَّابُوتِ﴾، وما بعده وما قبله لـ: موسى - عليه السلام -).^(٢)

والحق أن هذا فيه تشتت وتنافر، كما أنه يخرج القرآن الكريم عن الإعجاز الذي جاء به، فتناسق الضمائر لواحد مع صحة المعنى، أولى من جعلهما لمختلفين.

وقد بين ذلك الزمخشري بقوله: (والضمائر كلها راجعة إلى موسى، ورجوع بعضها إليه، وبعضها إلى (التابوت) فيه هجنة؛ لما يؤدي إليه من تنافر النظر)، ثم قال: (فإن قلت: المقذوف في البحر هو (التابوت)، وكذلك الملقى إلى الساحل، قلت: ما ضرَّك لو جعلت المقذوف والملقى إلى الساحل هو موسى في جوف التابوت؛ حتى لا تفرق الضمائر، فيتنافر عليك النظم، الذي هو قوام إعجاز القرآن، والقانون الذي وقع عليه التحدي، ومراعاته أهم ما يجب على المفسر).^(٣)

وعقب الزركشي على قول الزمخشري بقوله: (ولا مزيد على حسنه)^(٤).

وقال أبو حيان: (والظاهر أن الضمير في ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ عائد على موسى، وكذلك

(١) (طه: ٣٧-٣٩).

(٢) مثل: ابن عطية - رحمه الله - حيث قال في المحرر الوجيز (٤/ ٣٤): (والضمير الأول في: (اقذفيه)، عائد على موسى، وفي الثاني عائد على التابوت، ويجوز أن يعود على موسى). وانظر: البحر المحيط (٣٣١-٣٣٢/ ٧). إذ ذكر أبو حيان عن ابن حزم أنه كان لا يرى عودة الضمير على واحد في بعض المواضع.

(٣) الكشاف (٦٣/ ٣).

(٤) البرهان للزركشي (٤/ ٣٦).

الضميران بعده إذ هو المحدث عنه لا التابوت، وإنما ذكر التابوت على سبيل الوعاء والفضلة^(١).

وترجيح أبي حيّان لهذا القول مبني على أنه إن كان أحد الأسماء في الآية هو المحدث عنه والآخر فضلة كان عود الضمير على المحدث عنه أرجح، ولا يلتفت إلى القرب، قياساً على أنه لو كان الضمير صالحاً لأن يعود على الأقرب وعلى الأبعد كان عوده على الأقرب هو الأرجح.

- ومن الأمثلة أيضاً على عود الضمير لواحد قوله تعالى: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾^(٢).

فالضمائر في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ كلها لله تعالى، وهو الصحيح، وقيل: إنها للرسول ﷺ إلا الأخير^(٣)، وهذا بعيد.

قال الزمخشري: (والضمائر لله عز وجل، والمراد بتعزيز الله في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾، تعزيز دينه ورسوله ﷺ، ومن فرق الضمائر فقد أبعد)^(٤).

- وربما اقتضى المعنى اختلاف عود الضمائر في الآية الواحدة، مثاله قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٥)، فإن الهاء والميم في: ﴿فِيهِمْ﴾ تعود على أصحاب الكهف، والهاء والميم في: ﴿مِنْهُمْ﴾ تعود على اليهود^(٦).

- وربما يعود الضمير على المحدث عنه في الآية، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

(١) البحر المحيط (٣٣٠/٧).

(٢) (الفتح: ٩).

(٣) عزاه ابن عطية في المحرر الوجيز (١٢٩/٥): للجمهور.

(٤) الكشف (٢٣٥/٤)، واختار هذا القول أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير (٤٢٧/٧)، والفخر الرازي في (٢٨/٨٦) وكثير من المفسرين.

(٥) (الكهف: ٢٢).

(٦) قاله ثعلب والمبرد، عزاه لهما السيوطي في الإتيقان (٢/٣٣٨).

وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ (١).

وهذا ما رجّحه السيوطي، حيث قال: (فضمير ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ عائذ على إبراهيم - عليه السلام - وهو غير الأقرب؛ لأنه المحدث عنه من أول القصة إلى آخرها) (٢).
- ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٣)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ساء ظناً بقومه، وضاق ذرعاً بأضيافه) (٤).

- وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَضُرُّهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥)، فالآية كما يقول جمهور المفسرين فيها اثنا عشر ضميراً كلّها للنبي ﷺ، وأما الضمير في: ﴿وَجَعَلَ﴾ فهو لله تعالى (٦). وهذا هو القول الصحيح.

وقال بعض العلماء: (إلا ضمير: ﴿عَلَيْهِ﴾ فلصاحبه أبي بكر ﷺ؛ لأنّ النبي ﷺ لم تنزل عليه سكينته، فلم يزل ساكن النفس ثقةً بالله تعالى) (٧).

وقد علّق ابن عطية على هذا بقوله: (وهذا قول من لم ير السكينة إلا سكون النفس والجأش، وقال جمهور الناس: الضمير عائذ على النبي ﷺ، وهذا أقوى، والسكينة عندي إنما هي: ما ينزله الله على أنبيائه من الحيطة لهم، والخصائص التي لا تصلح إلا لهم،

(١) (الأنعام: ٨٤).

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٢٦٣/١).

(٣) (هود: ٧٧).

(٤) أخرج قوله الطبري في جامع البيان (٤٠٨/١٥)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٤) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٥) (التوبة: ٤٠).

(٦) جامع البيان (٢٦١/١٤)، معاني القرآن للزجاج (٤٤٩/٢)، الكشف (٢٧١/٢)، المحرر (٣٦/٣)، زاد المسير (٢٦١/٢).

(٧) ممّن قال بذلك: علي بن أبي طالب، وحبيب بن أبي ثابت - رضي الله عنهما -، والسهيلي، وغيرهم. انظر: جامع البيان (٢٦١/١٤)، معاني القرآن للزجاج (٤٤٩/٢)، المحرر الوجيز (٣٦/٣)، زاد المسير (٢٦١/٢).

كقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾^(١)، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾... إلى آخر الآية يراد به ما صنعه الله لنبيه إلى وقت تبوك من الظهور والفتوح، لأن تكون هذه الآية تختص بقصة الغار والنجاة إلى المدينة، فعلى هذا تكون: ﴿بِجُنُودٍ﴾: الملائكة النازلين ببدر وحنين، ومن رأى أن الآية مختصة بتلك القصة قال: الجنود ملائكة بشروه بالنجاة، وبأن الكفار لا ينجح لهم سعي، وفي مصحف حفصة: (فأنزل الله سكينته عليهما وأيدهما)، وقرأ مجاهد: (وأأيده) بالفين، والجمهور: (بشد الياء)^(٢).

– وقد يخالف بين الضمائر حذراً من التنافر نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ أَلْفَمُوا فَلَا تُزَلُّوا فِيهِمْ أَنْفُسُكُمْ وَقُلُوا لِّلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقُولُونَ كَمَا كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣). فالضمير في: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ عائدة للاثني عشر شهراً، ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَلُّوا فِيهِمْ﴾ فأتى بصيغة الجمع مخالفاً، لعوده على الأربعة، ومعناه: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظم حرمتها، فالحاء والنون في: ﴿فِيهِمْ﴾ عائدة على الأشهر الأربعة.

وهو الصحيح، وعليه أكثر المفسرين^(٤). ومن قال: بأن الضمير في: ﴿فِيهِمْ﴾ عائدة على الاثنا عشر، والمراد هو: لا تظلموا أنفسكم في الأشهر كلهن، فقد أبعد^(٥)، وبلا ريب أن المسلم مطالب شرعاً بترك المعاصي في جميع أحواله وأزمانه، وليس في تخصيص الأربعة بالحرم دليلاً على إباحة الظلم في غيرها من الأشهر.

(١) (البقرة: ٢٤٨).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٣٦).

(٣) سورة (التوبة: ٣٦).

(٤) انظر: جامع البيان (١١/ ٤٤٣)، معاني القرآن للفراء (١/ ٤٣٥)، معاني القرآن للنحاس (٣/ ٢٠٦)،

المحرر الوجيز (٣/ ٣١)، الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٣٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٩٧)، الدر المصون

(٤٥/ ٦).

(٥) روي هذا القول عن محمد بن الحنفية. ذكره عنه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٨/ ١٣٥).

القاعدة الثامنة: أنه إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى، بُدئ باللفظ ثم

بالمعنى:

وهذا هو الجادة في القرآن^(١).

- من الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾^(٢)، فقوله: ﴿مُؤْمِنًا﴾ وقوله: ﴿فَاسِقًا﴾ محمولان على لفظ (من)، وقوله: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ محمول على المعنى، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾^(٤).

وقال الطبري: (قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: ﴿مُؤْمِنًا﴾ و: ﴿فَاسِقًا﴾؛ لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمناً واحداً، وبالفاسق: فاسقاً واحداً، وإنما أريد به جميع الفساق، وجميع المؤمنين بالله، فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما ذهبت لهما العرب مذهب الجمع)^(٥).

- ونحو هذا قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اٰخَصَمُوْا فِي رَءِيسِهِمَا فَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَّصْبُونَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ اَلْحَمِيْمُ﴾^(٦)، فد: ﴿هَذَانِ﴾ محمول على اللفظ، و: ﴿اٰخَصَمُوْا﴾ محمول على المعنى^(٧).

- ومن أمثلته أيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَّقْنُتْ مِنكُنْ لِلّٰهِ وِرْسُوْلُهُ وَتَعْمَلْ صٰلِحًا

(١) انظر: البرهان (٣/٢٨٢)، الإتيان (٢/٣٤٢).

(٢) (السجدة: ١٨).

(٣) (السجدة: ١٩).

(٤) انظر: معاني القرآن للنحاس (٣/٢٠٢)، البحر المحيط (٨/٤٣٩)، والجامع للقرطبي (١٤/١٠٧)، التحرير والتنوير (٢١/٢٣١). فالجمع في: (لا يستوون) والتقسيم بعده حمل على معنى: (من).

(٥) جامع البيان (٢٠/١٨٧).

(٦) (الحج: ١٩).

(٧) الكشف (٣/١٤٩)، مفاتيح الغيب (٢٣/٢١٤)، الدر المصون: (٨/٢٤٨)، وقال السمين الحلبي: (لأنَّ كلَّ خصمٍ (فريقٍ) تحته أشخاص).

نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾^(١) بعودة الضمير: ﴿يَقْنُتْ﴾ مذكراً؛ مراعاة لـ: لفظ: ﴿وَمِنْ﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ﴾ مراعاة للمعنى. وغير هذا كثير في القرآن الكريم.

وقال بعض العلماء: (ولم يأت في القرآن البدء بالحمل على المعنى إلا في موضع واحد، وهو قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْهِمْ أَرْوَاجُهَا وَإِنْ يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، فأنت: ﴿خَالِصَةٌ﴾ حملاً على معنى: ﴿مَا﴾، ثم راعى اللفظ فذكر، فقال: ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾، ولم يقل: «محرم»^(٣).

قال ابن الحاجب^(٤): (إذا حُمِلَ على اللفظ، جاز الحمل بعده على المعنى، وإذا حُمِلَ على المعنى ضَعُفَ الحمل بعده على اللفظ؛ لأنَّ المعنى أقوى، فلا يبعد الرجوع إليه بعد اعتبار اللفظ، ويضعف بعد اعتبار المعنى القوي الرجوع إلى الأضعف)^(٥).

ويُردُّ على ابن الحاجب بأنه يجوز الحمل على كل واحد منهما بعد الآخر من غير ضعف، وهذا ثابت في القرآن الكريم.

ويؤيد ذلك اعتراض الزركشي عليه بقوله: (وهذا معترض بأنَّ الاستقراء دلٌّ على أنَّ اعتبار اللفظ أكثر من اعتبار المعنى، وكثرة موارد تدلُّ على قوله، وأما العود إلى اللفظ بعد اعتبار المعنى فقد ورد به التنزيل، كما ورد باعتبار المعنى بعد اعتبار اللفظ، فثبت أنه يجوز الحمل على كل واحد منهما بعد الآخر من غير ضعف، وأما قوله تعالى: ﴿وَمِنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾

(١) (الأحزاب: ٣١).

(٢) (الأنعام: ١٣٩).

(٣) منهم علم الدين العراقي - رحمه الله -، وقد ذكر قوله السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن (٤٦٩/٣).

(٤) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر، أبو عمرو جمال الدين، ابن الحاجب الكردي المالكي، الشيخ، الإمام الأصولي، المتبحر، النحوي، الأديب، مصنف: الكافية، والشافية، والمنتهى، والأمثالي، وغيرها، توفي - رحمه الله - بالإسكندرية سنة ست وأربعين وستمائة، عن ست وسبعين سنة، وغير عن خمس وثمانين. انظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول تأليف: مصطفى القسطنطيني (٣٣٣/٢)، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية. تأليف: محمد مخلوف (٢٤١/١).

(٥) الأمثالي لابن الحاجب (٣٨٨/١)، وانظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تأليف: أبو البقاء الحنفي (٣٨٠/١)، وذكر قوله الزركشي في البرهان (٣٨٤/٣).

لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴿ فَقَرَأَ الجماعة بتذكير: ﴿ يَقْنُتْ ﴾ حملاً على لفظ: ﴿ وَمَنْ ﴾ في التذكير، ﴿ وَتَعْمَلْ ﴾ بالتأنيث حملاً على معناها لأنها للمؤنث، وقرأ حمزة والكسائي: (يعمل) بالتذكير فيهما، حملاً على لفظها ^(٦).

ومن النحويين ^(٧) من قال: (وليس في كلام العرب الرجوع من المعنى إلى اللفظ إلا في حرف واحد استخرجه ابن مجاهد، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ ^(٨)، فقد وحّد في قوله: ﴿ يُؤْمِنْ ﴾ و: ﴿ وَيَعْمَلْ ﴾ و: ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ ثم جمع في قوله: ﴿ خَالِدِينَ ﴾، ثم وحّد في قوله: ﴿ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾، فرجع بعد الجمع إلى الأفراد ^(٩).

ونذكر بعضهم أن من هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ^(١٠) فقد أفرد: ﴿ وَمَنْ يُطِغِ ﴾ و: ﴿ يُدْخِلْهُ ﴾ وجمع في قوله: ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾، فرجع بعد الجمع إلى الأفراد.

وهذا التنوع في الحمل على اللفظ أو المعنى من عظيم بلاغة القرآن الكريم، ومن عجيب اتساق خطابه وانسجامه وإعجازه بكونه نصاً وخطاباً إلهياً مطلقاً غير قابل للمحاكاة أبداً.

هذا ما يسر الله تعالى بتوفيقه تحريره وتحبيره من قواعد استعمال الضمير.

(والحمد لله أولاً وآخراً على ما أتم وأعان والصلاة والسلام على نبينا ﷺ خير

الأنام)

الخاتمة

الحمد لله الذي يسر هذا البحث وأعان على إتمامه، بفضلله وحده وعظيم امتنانه، أما بعد: فقد ظهر للباحثة من خلال هذا البحث والقراءة في مصادره بعض النتائج والتوصيات،

(٦) البرهان (٣/ ٣٨٤).

(٧) هو قول ابن خالويه، ذكر قوله السيوطي في معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٤٧٠).

(٨) (الطلاق: ١١).

(٩) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٠٧٤).

(١٠) (النساء: ١٣).

هي كالتالي:

أولاً: النتائج:

١. أن معرفة عود الضمائر في الآية تعين على تدبر القرآن الكريم وفهمه.
٢. الضمائر نوعان مستترة وبارزة، ومتصلة ومنفصلة.
٣. من أهم أغراض استعمال الضمير: الاختصار والتفخيم والاحتقار.
٤. بعض المفسرين يعتني ويقدم سياق الآيات؛ لأجل تحديد عود الضمير، بينما لا يقدم بعضهم ذلك.
٥. يرى بعض المفسرين أن هناك أمور مهمة تعين على تحديد عود الضمير، كترجيح ذلك بآية أخرى، أو بقراءة، أو سنة عن النبي ﷺ، أو قاعدة فقهية وأصولية.
٦. عند تعيين عود الضمير يظهر أثر ذلك في التفسير والاستنباط ويتعلق بذلك مسائل من علوم القرآن والاعتقاد والفقه وأصول الفقه وغيرها.
٧. في تعيين عائد الضمير ضوابط وقرائن بحسب القوة، والمعتمد في ذلك بحسب كل مثال وما يظهر للمفسر من سياقه.
٨. يلاحظ أن بعض الاختلاف في عود الضمير هو من قبيل اختلاف التنوع وليس من اختلاف التضاد ولا يترتب على ذلك شيء.
٩. قد يعود الضمير الواحد إلى أكثر من مذكور في الآية، وقد يعود إلى مذكور واحد فقط.
١٠. أن رجوع الضمير إلى مذكور في الآية أولى من رجوعه إلى مقدّر، وهذا هو اعتبار أغلب المفسرين.
١١. أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور في الآية ما لم يرد دليل يخالف ذلك، وبعض المفسرين يوجب عود الضمير إلى أقرب مذكور في الآية لا غير.

ثانياً: أهم التوصيات :

١. ضرورة العناية بالبحوث والدراسات التي تتناول التحليلات اللغوية في القرآن الكريم.
٢. القيام بدراسات مستقبلية دقيقة لمعرفة محدّدات المعنى عند المفسرين.
٣. الاستفادة من تقنيات التعليم وتوظيفها لاستثارة القدرات والتفكير لدى الباحثين في الدراسات القرآنية؛ لاستنباط أفكار قرآنية لغوية وبيانية جديدة وتصميمها برسوم وخرائط وتصاميم حديثة عصرية تخدم المتخصصين وغيرهم.

(ملحق جدول يوضح قواعد استعمال الضمير في القرآن الكريم)

الرقم	القاعدة	المثال	اسم السورة ورقم الآية
١-	القاعدة الأولى: لا بد أن يتقدّم على الضمير اسم ظاهر يدلّ عليه، ويعود إليه. وتندرج تحت هذه القاعدة ثمان حالات لعود الضمير.	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنَتْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاسْتَبَوْهُ﴾	البقرة: ٢٨٢
٢-	القاعدة الثانية: عود الضمير على لفظ شيء، والمراد به الجنس من ذلك الشيء.	قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلَهُ أُولَىٰ بِحِمَاٍ﴾	النساء: ١٣٥
٣-	القاعدة الثالثة: أن يذكر شيئان ويُعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب عوده للثاني الأقرب.	قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	البقرة: ٤٥
٤-	القاعدة الرابعة: أن يذكر شيئان، ويعود الضمير جمعاً؛ لأنّ الاثنين جمع في المعنى.	قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾	الأنبياء: ٧٨
٥-	القاعدة الخامسة: أن يثنى الضمير ويعود على أحد المذكورين.	قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللّٰهُوُّ وَالْمَرْجَاتُ﴾	الرحمن: ٢٢

الرقم	القاعدة	المثال	اسم السورة ورقم الآية
٦-	القاعدة السادسة: مجيء الضمير متصلاً بشيء، ويعود لغيره.	قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢)	المؤمنون: ١٢
٧-	القاعدة السابعة: أنه إذا اجتمعت الضمائر، فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى من عودها لمختلف.	قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ (٣٧) ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ (٣٨) ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوُّهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ (٣٩)	طه: ٣٧ - ٣٩
٨-	القاعدة الثامنة: أنه إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى، بُدئ باللفظ ثم بالمعنى.	قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨)	السجدة: ١٨

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإِتقان في علوم القرآن. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.
٢. إجابة السائل شرح بغية الآمل. تأليف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: القاضي حسين بن أحمد السياغي، والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٨٦م.
٣. الأدب المفرد. تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت: لبنان، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
٤. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. تأليف: أ. د. محمود أحمد نحلة، دار الرسالة.
٥. أمالي ابن الحاجب. تأليف: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب الكردي المالكي (ت ٦٤٦هـ)، دراسة وتحقيق: د. فخر صالح سليمان قدارة، الناشر: دار عمار، الأردن، دار الجيل، بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.
٦. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تأليف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٧. أهمية الضمير في القرآن تأليف: هارون يحيى، ترجمة - تحقيق: أحمد بنا، مصطفى السيتي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠٠٤م.
٨. البرهان في علوم القرآن. تأليف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٩. التعريفات. تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٠. تفسير القرآن العزيز. تأليف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
١١. تفسير القرآن العظيم. تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
١٢. تيسير التحرير. تأليف: محمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (ت ٩٧٢هـ)، مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.
١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. تأليف: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٤. جامع البيان في تأويل آي القرآن. تأليف: محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن. تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة: مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.
١٦. حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك. تأليف: أبو العرفان محمد بن علي ابن محمد الصبان الشافعي (ت ١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٧. حاشية العطار على شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع. تأليف: حسن بن محمد بن محمود العطار الشافعي (ت ١٢٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت: لبنان.
١٨. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. تأليف: الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة (ت ١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط: بدون.
١٩. دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة. تأليف: إبراهيم محمد أبو سكين. ط: بدون.
٢٠. سلم الوصول إلى طبقات الفحول. تأليف: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني

- المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ: «حاجي خليفة» (المتوفى ١٠٦٧ هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، الناشر: مكتبة إرسىكا، إستانبول، تركيا، عام النشر: ٢٠١٠ م.
٢١. شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو. تأليف: خالد ابن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهرى، زين الدين المصري، المعروف بالوقاد (ت ٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م.
٢٢. شرح صحيح البخاري. تأليف: علي بن خلف بن بطلال (ت ٤٤٩ هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط: الثانية ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م.
٢٣. صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال. تأليف: حسين بن محمد المهدي، دار الرسالة.
٢٤. صيد الخاطر. تأليف: ابن القيم الجوزية (ت ٥٩٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦ م.
٢٥. الضمائر المحتملة في القرآن الكريم. تأليف: ملفي الصاعدي، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ٢٧.
٢٦. طبقات النحويين واللغويين. تأليف: أبو بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي الإشبيلي (ت ٣٧٩ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة: الثانية.
٢٧. عود الضمير في البحر المحيط لأبي حيّان. تأليف: محمد خالد العبيدي، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، العراق.
٢٨. العين. تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٩. فتح من الرحيم الرحمن في بيان كيفية تدبر كلام المنان. تأليف: أحمد بن منصور، المكتب الإسلامي.
٣٠. القاموس المحيط. تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة.

- بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.
٣١. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤ هـ)، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٢. لسان العرب. تأليف: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، الثالثة، ١٤١٤ هـ.
٣٣. مجاز القرآن. تأليف: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت ٢٠٩ هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٣٨١ هـ.
٣٤. المجالسة وجواهر العلم. تأليف: أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (ت ٣٢٣ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩ هـ.
٣٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تأليف: عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٣٦. مختصر منهاج القاصدين. تأليف: ابن قدامة، تحقيق وتعليق: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، بيروت ١٣٩٨ هـ.
٣٧. مرجع الضمير في القرآن الكريم. تأليف: د. محمد حسنين صبرة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية ٢٠٠١ م.
٣٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
٣٩. معاني القرآن. تأليف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت ٣٣٨ هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.
٤٠. معاني القرآن وإعرابه. المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١ هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م.
٤١. معاني القرآن. تأليف: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء

- (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة: الأولى.
٤٢. معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم. تأليف: إسماعيل عمايرة، وعبد الحميد السيد، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٤٣. معجم مقاييس اللغة. تأليف: أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٤٤. المعجم الوسيط. تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
٤٥. معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة). تأليف: أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، عام النشر ٣٧٧هـ، ١٣٨٠هـ.
٤٦. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
٤٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تأليف: جمال الدين بن هشام الأنصاري، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت لبنان، ١٤١٩هـ.
٤٨. مفهوم التفكير في ضوء القرآن الكريم. تأليف: محمد هندي، مجلة الدراسات القرآنية، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، العدد ٢، ١٤٢٩هـ.
٤٩. المفردات في غريب القرآن. تأليف: أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٥٠. نزهة الألباء في طبقات الأدباء. تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٥١. النكت والعيون. تأليف: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٥٢. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هندواوي، الناشر: المكتبة التوفيقية، مصر.